تحقيق انجاز ما؛ وأن القتال كثيراً ما يستعمل لخلق وقائع جديدة، من أجل تمكين الدبلوماسية، لاحقاً، من قطف ثمارها وهضمها. كذلك، يجدر الاحتياط إلى أن ما نعيشه من سيادة مناخ دولي يعمل على نزع فتيل التفجير، وعلى استبدال التوترات بحالة استرخاء، وعلى صوغ علاقات دولية، وإقليمية، جديدة تخدم حالة تفاهم، وتناغم، ووفاق، وتآلف، القوتين الأعظم، وتتحاشى استفزازها، أو تعريضها لخلل أو خطر، لا تحول دون استثناء، هنا وهناك، وخاصة من طرف كان وجوده، أصلاً، استثناء، وكذلك بنيانه، واستمراره، وسلوكه، وتعامله الشاذ، ولا تمنع تفجيراً محدوداً ومحسوباً، بل وربما مسموحاً به لتحسين الوضع التفاوضي لطرف ما في نزاع إقليمي، أو لمساعدته في تأجيل استحقاق مطلوب منه، أو التهرّب من دفعه، أو لمعالجة صراعات داخلية لديه، درءاً لانقسام، أو شرخ، في قواه الذاتية إزاء ذلك الاستحقاق. وهنا، بالضبط، تتبين مشروعية، وضرورة، البحث في الحرب، أو اللجوء إلى تفجير قتال واسع النطاق، كخيار اسرائيلي شديد الاحتمال في المستقبل القريب.

أوضح موشي دايان ذات يوم ـ حين كان أبرز عسكريي اسرائيل ـ أن هدف اسرائيل هو تحويل خطوط وقف إطلاق النار إلى سلام دائم مع العالم العربي. وللوصول إلى ذلك، علينا حماية «حدودنا الجديدة بطريقة تطرد أدنى أمل قد يعلق في أذهان أعدائنا بقدرتهم على طردنا بقوة السلاح»[1]. ومع اختلاف في السياق الآني الذي ورد فيه حديث دايان هذا عن وضعنا الراهن، فإن الحديث قد فسّر محور آلية سياسة القضم والضم والهضم التي مارستها اسرائيل منذ إنشائها، وعلى امتداد الصراع العربي معها.

لقد فهمت الاستراتيجية الصهيونية جيداً قول مونتيني: «أي نصر كبير تنتظرون أكثر من إفهام عدوّكم بأنه عاجز عن قتالكم؟»؛ أي انها استوعبت من ممارسة الردع بالتلويح بالقوة أو البرهان عليها، من أجل عدم الاضطرار إلى استخدامها، فركزت على استمرار التنامي العمودي، والأفقي، النوعي والكمّي، للقوة العسكرية الاسرائيلية، متجاوزة حيازة، وانتاج، الأسلحة التقليدية إلى حيازة، وانتاج، القنابل النووية والصواريخ بعيدة المدى، والتحضير لانتاج القنابل النيوترونية بالتعاون مع جنوب أفريقيا، ودخول عصر الفضاء في مرتبة سابع دولة في ناديه، بعدما صنعت، وأطلقت، أقماراً اصطناعية، دون أن تغفل تعزيز هذا الردع، بين فترة وأخرى، بالعمل عبر سلسلة حروب متلاحقة شنّتها إسرائيل كل بضع سنوات، استهدفت، من الاستخدام الخاطف والساحق للقوة المسلحة والتدمير الهائل على أرض الخصم، ليس فقط تحطيم جيوشه إلى أقصى حدّ متاح، بل كذلك تدمير آمال، ونوايا، وأهداف، الخصم كلما تجددت، وصولاً إلى إخضاعه، وإرضاخه، وتكريس يأسه. وهذا ما أوضحه وزير الدفاع الاسرائيلي الأسبق، يغئال الون، على امتداد صفحات عديدة من كتابة «الستار الرملي»، مكرراً التذكير بأن حسم الجيش المعركة، والانتصار فيها، يردع العدو عن الدخول في حرب جديدة «وتكرار الردع وإدامته فترة زمنية طويلة يؤدي إلى تسليم العدو بالأمر الواقع»[2].

ومن المفيد أن نعود الى استعراض الحروب العربية ـ الاسرائيلية بسرعة، لتحديد ما يربط فيما بينها جميعاً من خيوط وخصائص مميّزة، متكررة، بما قد لا تشذّ عنه، جوهرياً، حرب مقبلة، استشفافاً لما يرجّح أن تكون عليه. فنظرة إلى الأسابيع التي أعقبت توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة ذات الرقم ١٢٨، بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩، بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية، وحتى قبل أن يقرّر مجلس الأمن الدولي تلك التوصية بقراره الرقم ١٨١، ركّزت القيادة الصهيونية جهودها على إحكام سيطرة عسكرية على المناطق المخصصة للدولة اليهودية، وخلق وقائع جديدة عليها بالاقتلاع الجماعي للأغلبية السكانية الفلسطينية فيها، عبر نشر الرعب والارهاب في صفوفهم، لدفعهم